

انتشار السحر في المجتمع الجزائري - دراسة سوسيو-انثروبولوجية بمنطقة بسكرة

The propagation of witchcraft in the Algerian society: an socio-anthropological inquiry in the region of Biskra

الطبيب العماري¹

¹ جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، lamhari2006@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2023/03/21 تاريخ القبول: 2023/06/11 تاريخ النشر: 2023/06/18

Abstract:

Since recent decades, Algerian society has been undergoing rapid transformations affecting all aspects of life, in which the individual is exposed to intellectual and psychological shocks that affect his personality, make him vulnerable to various diseases, and scientific ideas clash in his mind with popular beliefs and push him to ask questions about the nature of his illness or the reasons for his failures. And how to heal and overcome them, which leads some to search for answers to their diseases and problems with magicians and sorcerers. From here came our field study of the spread of the phenomenon of magic in Algerian

Keywords: Sorcery-beliefs-religious treatment-legal Islamic-believers in witchcraft

المخلص:

يعيش المجتمع الجزائري منذ العقود الأخيرة تحولات سريعة مست كل جوانب الحياة، يتعرض فيها الفرد إلى الهزات الفكرية والنفسية التي تؤثر في شخصيته، وتجعله عرضة للأمراض المختلفة، وتتصارع في ذهنه الأفكار العلمية بالمعتقدات الشعبية و تدفعه إلى طرح الأسئلة حول طبيعة مرضه أو أسباب اخفاقاته، و كيفيات الشفاء منها وتجاوزها، مما يدفع البعض إلى البحث عن إجابات للأمراضهم ومشاكلهم عند السحرة والمشعوذين. من هنا جاءت دراستنا الميدانية لانتشار ظاهرة السحر في المجتمع الجزائري .
كلمات مفتاحية: السحر - المعتقدات - العلاج الديني - الرقية الشرعية - المعتقدون بالسحر.

المؤلف المرسل: الاسم الكامل، الإيميل: lamhari2006@yahoo.fr

1. مقدمة

يعيش المجتمع الجزائري منذ العقود الأخيرة تحولات سريعة مست كل جوانب الحياة العامة والخاصة و في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، يتعرض فيها الفرد إلى الكثير من الهزات الفكرية والنفسية القوية التي تؤثر في شخصيته ، وقد تسبب له حالات من القلق والتوتر والوسواس الذي يلاحقه باستمرار ، وتجعله عرضة للأمراض النفسية والروحية ، كما تتصارع في ذهنه الثقافة العصرية بالثقافة التقليدية والأفكار العلمية بالمعتقدات الشعبية و الميتافيزيقية ، التعاليم الدينية بالمبادئ الدنيوية ، و تدفعه إلى طرح الأسئلة حول طبيعة مرضه او أسباب اخفاقاته الاجتماعية ، و كفاءات الشفاء منها وتجاوزها ، وهنا تتدخل عوامل كثيرة في توجيه سلوك الفرد ، حيث تساهم العوامل الثقافية والاجتماعية المشكلة لثقافة الفرد والمجتمع وكذا شخصيته وتنشئته الطفولية ، في دفع البعض إلى البحث عن إجابات لأمراضهم ومشاكلهم، حيث يلجأ الكثيرون إلى الدين طلبا للشفاء وبحثا عن إجابات للأسئلة التي ترهقهم، بينما يتجه البعض الآخر إلى السحرة و المشعوذين يطلبون استنفار قدراتهم فوق الطبيعية ، وخدامهم من الجن والشياطين لتحقيق أمانهم عجزوا عن تحقيقها بأنفسهم ، او الحاق الأذى بأشخاص يرون انهم يقفون في طريق أهدافهم ومبتغياهم .

والملاحظ في المجتمع الجزائري عموما ، ومنطقة الدراسة بشكل خاص هو تزايد ملحوظ لممارسي السحر وكذا تزايد المعتقدين بهم وقدراتهم الخارقة. من هنا جاءت دراستنا الميدانية لانتشار ظاهرة السحر في المجتمع و تزايد عدد المعتقدين بالسحر والسحرة وما يملكونه من قدرات قد تغير من واقعهم الذي لا يرضون عنه او تزايد الخوف من قدراتهم التي يمكن ان تسبب لهم الأذى والفشل. والسؤال الذي دفعنا إلى هذا البحث وهذه الدراسة هو: ما هي العوامل التي أدت إلى زيادة عدد المعتقدين بالسحر والانتشار الواسع لممارسيه بهذا الشكل؟ وما هي طرق العلاج منه؟

منهج الدراسة وأدواتها:

ان دراسة مثل هذه الموضوعات حيث تتشابك وتتعدد العوامل المرتبطة بالظاهرة فان المنهج الوصفي يعد أساسيا و لا غنى عنه، فالوصف الدقيق للظاهرة كما هي موجودة يجب ان لا

يفهم أن مهمته هي تجميع البيانات والمعلومات فقط و إنما تمتد إلى تحليل الظاهرة، وتفسيرها للبحث عن العلاقات و الأسباب المتداخلة بين عناصرها وفهم الدوافع وراء انتشارها، والتنبؤ بمآلاتها.(عبد الله عبد الغني، 2004، صفحة 101)

ان الدراسة الانثروبولوجية الحقلية تحتم علينا استخدام مجموعة من الأدوات نذكر منا : الملاحظة الكيفية والملاحظة الكمية:حيث تعد الملاحظة أهم الأدوات المستخدمة في البحث الانثروبولوجي، بل يمكن أن نقول عنها الأداة الأساسية في هذا النوع من البحوث(COPANS, p. 34)، حيث تسمح الملاحظة المباشرة للباحث بالوصف الدقيق للظاهرة وتوجيه التساؤلات اللازمة للحصول على الاستنتاجات المناسبة.لكن هذا الوصف لم يكن وحده كافيا للإلمام بالظاهرة مما يحتم علينا استخدام المنهج الكمي (الملاحظة الكمية) ومن هنا كان الاعتماد على الإحصاء(أبو حطب، و صادق، 1991، صفحة 55)لأن "السلوك الإنساني يمدنا بفئتين من المعلومات أو الحقائق، حقائق لها دلالات كمية تشير إلى الحجم أو المقدار، وهناك الفئة الثانية من الحقائق وهي ذات الدلالات الكيفية التي تحتاج إلى مجرد الوصف والتفسير".على حد قول كلود ليفي ستروس: "من المؤكد أن الشباب الذين سوف يتخصصون في العلوم الاجتماعية لا بد وأن تكون لهم ثقافة أساسية قوية في الرياضيات، وإلا طردوا من المسرح العلمي".(عبد الله عبد الغني، 2004، صفحة 101)

المقابلة : حيث أجرينا العديد من المقابلات مع الكثير من افراد مجتمع الدراسة،و سمحت لنا بجمع الكثير من المعلومات المتعلقة بالسحر و اخذ اراء المعتقدين والمتردددين على السحرة. (وصفي، 1971، صفحة 289)

الاستعانة بالإخباريين:يعرف جريك بابليو جيمسبويلياالإخباريين بالقول:" إن الأشخاص الذين يسمحون للباحث الحقلي بإجراء المقابلة معهم، أو يسمحون له بالقيام بملاحظة سلوكياتهم، يسمون الخبراء أو الإخباريين، وبعضهم يقدمون عوناً كبيراً للباحثين"(عبد الله عبد الغني، 2004، صفحة 116).فقد استفدنا كثيرا في بحثنا من المساعدات والتسهيلات التي قدمها لنا بعض المعالجين بالرقية و بعض المرضى ممن يعتقدون ان بهم سحر اثناء جلسات العلاج ممن تعاملوا معنا بوضوح من خلال السماح لنا بحضور جلسات العلاج.

مجال الدراسة:

المجال الجغرافي: كانت دراستنا هذه في منطقة بسكرة ويعود اختيارنا لهذه المنطقة

لما يلي:

- الانتشار الواسع والملحوظ لظاهرة السحر في هذه المنطقة بشكل ملفت للانتباه،
من خلال زيادة عدد المترددين على السحرة وزيادة عدد المعتقدين بانهم تعرضوا للاعتداء
السحري.

- حصر البحث في نطاق محدد (منطقة بسكرة) من أجل التعمق في دراسة الظاهرة
والإحاطة بموضوعها وجوانبها المختلفة، لأنه لو توسع مجال الدراسة إلى مناطق أخرى
لاستحال انجازه بالشكل المناسب. وعلى الباحث الواحد.

المجال البشري: ولأن العلاج بالرقية يقوم على طرفين أو فئتين أساسيتين من المجتمع: فئة
الممارسين "أي الرقاة" وفئة المعتقدين بالسحر و المترددين على السحرة بدواعي تعرضهم
للسحر وقد بلغ عدد أفراد العينة المدروسة (32 حالة) موزعين على الجهات المختلفة لمنطقة
الدراسة.

2 . تعريف السحر la sorcellerie:

يعد السحر ظاهرة موهلة في القدم ، عرفت الشعوب عبر مراحل التاريخ الإنساني،
من عهد الشعوب والحضارات القديمة إلى يومنا هذا ،برغم اختلاف الزمن واختلاف الثقافات
والشعوب. ولا تخلو أي ثقافة من ممارسات وطقوس سحرية قد تكون فردية أو جماعية، من
عهد نوح عليه السلام وقبله قصة هاروت وماروت (الفتح الباري 223/10، ص 14)، كما
عرف السحر عند شعوب بابل، والفرس وقدماء المصريين، كذلك شعوب بلاد الهند وبلاد
الإغريق...الخ.(سليمان الأشقر، الصفحات 31-14)

فعند اليهود والمسيحيين، أُنذرت النصوص الدينية السحرة بالعقاب الشديد ودعت
لقتلهم " ويصل غضب الله من السحرة إلى أقصى درجة عندما يطالب بموت السحرة "لا تدع
ساحرة تعيش" (خر 22، 18) ، كما بين الكتاب المقدس أن السحر والجان نوع من النجاسة
تنجس الفرد، لذلك أمر بالابتعاد عنهما وشبه الكتاب المقدس بين السحرة والكلاب والقتلة
والزناة ووضعهم في نفس المرتبة حيث ذكر في سفر الرؤيا أن "خارجا يكون الكلاب والسحرة

والزناة والقتلة (سفر الرؤيا 22، 15). وقد جعلت اليهودية والمسيحية السحرة في أسفل منزلة وأنذرتهن بأقصى العذاب سواء في الدنيا أو الآخرة (حسن دحبول، 2002، صفحة 17).

أما في أوروبا: فلقد دهش الباحثين في تاريخ أوروبا بالاطلاع على الدور الكبير الذي لعبه السحرة والسحر في حياة الممالك، فقد كان للسحر والسحرة والساحرات في هذه البلاد شأن عظيم عند الحكام والطبقة الراقية وأقبل على دراسته وممارسته الأمير والصلوك والغني والفقير والعالم والجاهل (...). وكان لكل ملك ساحره الخاص الذي يقوم بخدمته ويحقق له أو لها الأغراض.. (سليمان الأشقر، صفحة 43)

1.2. السحر في الإسلام:

جاء القرآن الكريم وجاءت السنة النبوية تؤكدان وجود السحر، ومخاطره على الفرد والمجتمع والنهي عنه قال تعالى: "وَأَنبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ" (البقرة: الآية 102)

"فَأَوْحَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى، قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى" (سورة طه: الآيات 67، 68، 69).

واعتبر النبي عليه الصلاة والسلام السحر أصعب وأشد الموبقات ورتبه مباشرة بعد الشرك بالله لخطورته على المسلمين، بل اعتبره من الكفر أيضا، فقال صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات". (أرشوم، 1994، صفحة 30)

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس منا من تطير أو تكهن له، أو تكهن أو سحر له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد". (بالي، 1997، صفحة 27)

لقد أخذ السحر حيزا واسعا في كلام ودراسة علماء الدين الإسلامي، سواء بضبطها أو تعريفه والتحدث عن مخاطره على الفرد في عقله وجسمه وعلاقاته ودينه وعلى المجتمع، حيث قال الأزهرى: "السحر عمل تقرب فيه إلى الشيطان وبمعونة منه كل ذلك الأمر كينونة للسحر ومن السحر الأخذة التي تأخذ العين حين يظن أن الأمر كما يرى وليس الأصل على ما يرى" (المنظور، 2000، صفحة 348)

أما الشافعي فيقول: "السحر عقد ورقى وكلام يؤثر في بدن المسحور أو عقله، وله حقيقة فمنه ما يقتل، يمرض، ويأخذ الرجل عن زوجته، يحبب ويفرق (يكن، 1989، صفحة 56)

مما تقدم نرى أن السحر ظاهرة عالمية لدى كل الشعوب والأمم وحذرت منه واستنكرته كل الديانات واعتبرته من الأعمال الشيطانية لما يترتب عنه من إفساد أحوال الفرد والمجتمع.

لقد حظيت ظاهرة السحر بدراسات كثيرة قام بها الباحثون الانثروبولوجيون وعلماء الاجتماع وغيرهم وأخذت تفسيرات وتأويلات مختلفة، حيث تتوزع الدراسات المنجزة في موضوع السحر باتجاهين رئيسيين:

- **الاتجاه الأول:** وظيفي، واجتماعي هدفه السيطرة على الطبيعة والقوى فوق الطبيعية وتسخيرها وهذا موقف جيمس فريزر: "السحر يسعى إلى السيطرة على الطبيعة، ويرمي إلى تحقيق غايات مخصوصة" (لومبار، 1997، صفحة 207)

ولعل أهم أصحاب هذا الاتجاه هو برونيسلاو مالينوفسكي Malinowski في دراسته العامة حول السحر التي جاءت في كتابه: "سكان جزر التروبرياندا" يقول: "عندما يظهر للإنسان عجزه عن التحكم في الواقع الموضوعي المطروح أمامه، فإنه يبدأ في اللجوء إلى السحر (...) وهذا معناه أن هناك مستويان للنشاط الإنساني:

مستوى عملي في قدرة الإنسان، ومستوى غيبي يلجأ إليه عند العجز عن السيطرة على الظواهر وتسيير دفة الحياة فعند القدرة ووضوح الرؤية يلجأ إلى المستوى الأول الواقعي الموضوعي، وعند العجز فإنه يسارع باللجوء إلى المستوى الثاني الغيبي" (الساعاتي، 1984، صفحة 56) كما يرى بأن "السحر يخدم في علاج كثير من سوء التوافقات

والصراعات الفكرية (...) ويمد الناس بالقوى الدافعة إلى العمل والاتحاد والارتباط، وهو ينمي صفات لازمة لكل عمل ناجح مثل النظام والثبات والدقة والتنبؤ" (الساعاتي، 1984، صفحة 57).

- أما الاتجاه الثاني: فإنه يرى في السحر حالة مرضية ونفسية حيث تعتبر الممارسات نفسها ناتجة عن اضطرابات نفسية في شخصيات مزاولي هذه الممارسات أو زبائنهم أوهما معا. (السحر والتطبيب بالمغرب) وهذا ما تمثله النظرة الفرويدية التي ترى أن " السحر مرض نفسي يصيب بعض الأشخاص أو بعض المجتمعات، وهو بمثابة ردة إلى التفكير البدائي، أو هو ردة إلى مرحلة طفيلية، وبذلك يكون عرضا نكوصيا" (الساعاتي، 1984، صفحة 57).

2.2. أقسام وأنواع السحر:

إن تصنيف السحر يأخذ في الغالب على الرغم من اختلافات كثيرة بين العلماء والدراسيين تصنيفات ثنائية كثيرة ك: السحر الأبيض - الأسود، والسحر الايجابي - والسلبي، سحر العامة، الخاصة، السحر التشاكلي، الاتصالي... الخ وسوف نركز في بحثنا هذا على تصنيفين أساسيين في السحر

التصنيف الأول: تصنيف الشيخ محمد بن صالح العثيمين حيث يرى أن السحر قسمان:

الأول: عقد ورقي، أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى الإثراك بالشياطين فيما يريد لضرر المسحور.

والثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله وهو ما يسمى عندهم بالعطف والصرف، فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك، وفي تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه. (الأمراض الروحية/السحر/ نسخة الكترونية).

وينقسم السحر إلى قسمين:

أ/ السحر الروحاني: يعتمد ممارسوه على العزائم القرآنية المستخلصة من مصادر وكتب السحر الإسلامي، وخاصة منها كتب "البوني"، وتمتلى هذه الكتب بالعزائم السحرية والأحجية التي تستخدم في الكثير من الأغراض.

ب/ السحر السفلي: وفيه يتم الاتصال بالجان السفلي من أشرار الجن، وأقصى مراتبه تلك التي يستطيع فيها الممارس الاتصال بالشیطان، حيث يتم فيها معاهدة على أداء الساحر للسحر الشرير في مقابل مساعدة الجن له، ويتطلب السحر السفلي أوقاتا خاصة يسيطر فيها ملاك الشر على ملاك الخير. (الجهري و وآخرون، 1992، الصفحات 294-293)

أما من حيث أنواعه وأعراضه فكثيرة جدا، نذكر منها على سبيل التعريف لا الحصر:

سحر التفريق، سحر المحبة، سحر التخيل، سحر الجنون، سحر الخمول، سحر الهوانق، سحر المرض، سحر النزيف (الاستحاضة)، سحر تعطيل الزواج، سحر الربط...الخ(بالي، 1997، الصفحات 74-111).

3.2. أعراض السحر:

تختلف أعراض السحر من شخص لآخر وذلك حسب نوع السحر، لكن في الغالب فإن الأعراض الأساسية تتمثل في تغير مفاجئ في سلوك المسحور مما يجعله يتصرف تصرفات غريبة، مثل كثرة الشك، العدوانية المفرطة، تضخيم الأمور التي كانت من قبل تافهة، اعتزال الناس، كراهية بعض الأشخاص (مثلا الزوجة أو الأم) أو بعض الأماكن (مثل البيت أو مكان العمل).

- تغير في الجانب الفيزيولوجي مثل: شحوب الوجه، نقص في الوزن، ظهور بعض الآلام والأوجاع الغير مفهومة (مثلا أوجاع في البطن، أو في الرأس)

3. السحر في مجال الدراسة:

ظاهرة السحر ظاهرة مخيفة مرعبة تشكل بالنسبة لسكان المنطقة مصدر القلق، والوسواس الدائم، مما يجعل العلاقات الاجتماعية توصف بالتوتر، ويجعل الأفراد يتصرفون بحذر شديد اتجاه الآخرين خاصة في العلاقات بين الجنسين، أو في المناسبات والاحتفالات المختلفة حيث يتم توزيع وتقديم المأكولات والحلويات والمشروبات، وفي أماكن العمل حيث الاتصال الدائم بين أطراف عديدة، قد تدفعهم الغيرة، الحسد، أو حتى الرغبة في إقامة علاقة معينة إلى اللجوء إلى استخدام السحر.

إن الخوف والرعب الذي يمتلك الأفراد من السحر ناتج عن وجود عدد هام من ممارسي السحر في المنطقة من الرجال والنساء على السواء أغلبهم معروفين عند الناس يقدمون السحر لمن يدق أبوابهم فعلى سبيل المثال أحصينا بالاعتماد على ما ذكره لنا بعض الرقاة وأكدده عدد كبير من الناس في المنطقة وما جاورها من قرى "ثمانية من ممارسي السحر"، من بينهم امرأة ساحرة يتردد عليها عدد كبير من الناس بطريقة سرية وحتى معلنة من كل فئات وطبقات المجتمع خاصة الفتيات العازبات منهن (أميات ومتعلمات).

4. الدراسة الميدانية:

انطلاقاً من دراستنا الميدانية التي دامت أربعة اشهر من جويلية نهاية شهر أكتوبر من سنة 2022 والتي اعتمدنا فيها على الملاحظة بمساعدة مجموعة من الرقاة (او ما يمكن ان عليهم الاخباريون)، والمقابلة مع بعض افراد العينة الذين سمحوا لنا بإجراء المقابلة معهم، يمكن أن نذكر مايلي :

أكثر أنواع السحر المنتشرة في منطقة الدراسة والأعراض التي تصاحبها:

* **سحر التفريق:** وهو عبارة عن كراهية مفاجئة للزوج لزوجته أو عكس ذلك، دون أسباب موضوعية وهو سحر غالبا يؤدي إلى الطلاق وإلى صراعات عائلية وأغلبه من فعل الأقارب والجيران وزملاء العمل وهذا النوع من السحر هو الأكثر انتشارا.

* **سحر المحبة:** والقصد منه جعل شخص ما يحب "فلان أو فلانة" ويحدث عادة من طرف الجيران وزملاء العمل ومن أعراضه طاعة عمياء للمحبوب، عدم الصبر على فراقه، حيث يصبح المحبوب "معبودا"، وقد يجعل منه في حالة أشبه بالجنون.

* **سحر تعطيل الزواج:** نتيجة الحسد والغيرة، ومن أعراضه تراجع أحد الزوجين في آخر لحظة عن قرار الزواج، تغير مستمر في رأي أحدهما وعدم الثبات على رأي واحد، الخوف من ممارسة الجنس مع الطرف الثاني، كراهية أحدهما للآخر... الخ.

* **سحر الربط عن الزواج:** وهو عجز الرجل عن إتيان زوجته خاصة "ليلة البناء" وقد يحدث أيضا عند المتزوجين، وهذا النوع من السحر منتشر بشكل كبير خاصة في أوساط الرجال، كما يوجد أيضا عند النساء، ومن أعراضه عدم الانتصاب بصورة طبيعية عند الاقتراب من الزوجة.

* **سحر المرض:** ومن أعراضه أن يصاب شخص ما بمرض عضوي خاصة منها(الشلل في بعض الأطراف أو الشلل الكلي) دون وجود أسباب مرضية حقيقية وعجز الأطباء عن علاج المرض.

تصنيف المعتقدين بالسحر:

أ-تصنيف المعتقدين بالسحر على أساس الجنس:

جدول (أ) تصنيف المعتقدين بالسحر على أساس الجنس

الفئة	عدد المعتقدين في الإصابة بالسحر	النسبة المئوية
ذكور	07	21.88%
إناث	25	78.12%
المجموع	32	100 %

المؤلف: الجدول من انجاز الباحث

إن بحثنا الميداني جاء ليبين أن الإناث أكثر اعتقاداً بالسحر أو الاستعانة بالسحرة حيث تمثل هذه الفئة نسبة 78.12% في مقابل 21.88% للذكور وهذا لا يفسر عدم اعتقاد الرجال بالسحر واللجوء إليه، إنما يعود إلى عدة أسباب ودوافع تدفع المرأة إلى الاعتقاد بالسحر و قدرات السحرة، فالمرأة في مجتمع الدراسة تعيش تحت سيطرة الرجل، وتعلم في الغالب للقيام بأدوار منزلية، تمثل شرف العائلة والعار في نفس الوقت، على حد تعبير الأستاذ عبد القادر عرابي: "إن النظرة التقليدية تختزل المرأة إلى جسدها فأنوثتها هي قدرها، ومحددة لمصيرها... إنها عورة والعورة شيء مقدس، وهي رمز للشرف والعرض وتلك القيم فوق زمانية وفوق مكانية (...). في الأسرة التقليدية يتسلط الرجال على النساء، ويتجلى التسلط في حجب المرأة عن الحياة العامة..." (عرابي، 1999، الصفحات 50-64).. إن حجب الفتاة عن الحياة العامة قد يكون سببا في عنوستها وتأخر قدوم الزوج (خاصة ذلك الذي يرضى عنه الأب) ، وليست البنت المتعلمة و الجامعية بأفضل حال ، فهي تعلم المصير المحتوم بأن تزج من جديد في عالم التقاليد والأعراف بعد أن تحررت لمدة من الزمن ، ويصبح الحصول على الشاب والزوج بمثابة المخلص لها من العودة الى السلطة

الابوية و الحياة التقليدية . وحتى بعد الزواج فمشاكل العقم وتأخر الحمل عند بعضهن قد يهدد استمرار علاقتها واسرتها .

كل هذه الظروف تكون أسباب لزيادة القلق النفسي عند المرأة ، وهكذا يصبح الاعتقاد بالغيبيات و اللجوء الى السحر وسيلة لقلب معادلة القوة و المخلص لها من معاناتها، فبالسحر تسمع وتطاع من طرف الآخرين، وبذلك يعد اللجوء الى الاستعانة بالسحر او الاعتقاد بتعرضها للسحر استراتيجية تعبر من خلالها المرأة عن رغبتها في الإنعتاق من السلطات المفروضة عليها وتكسير الحواجز التي تمنعها من الظهور في العالم الخارجي، والتعبير عن مكبوتاتها بتفريغها.

هذا عن المرأة أما الذكور من المترددين على العلاج بالرقية فدوافعهم تختلف نسبيا , فهي الفشل في العمل، مشاكل اقتصادية، المشاكل الجنسية،... الخ هي الأساس في لجوئهم إلى الرقية.

ب- تصنيف المعتقدين بالسحر حسب فئات العمر:

جدول (ب) توزيع المعتقدين بالسحر حسب فئات العمر

النسبة المئوية	عدد المعتقدين في الإصابة بالسحر	فئة العمر
6.2%	02	اقل من 15 سنة
81.2%	26	[15 - 60 سنة]
12.5%	04	أكثر 60 سنة
100 %	32	المجموع

المؤلف: الجدول من انجاز الباحث

دلت الدراسة الميدانية حسب ما يوضحه الجدول (ب) أن الاعتقاد بالسحر لا يقتصر على فئة عمرية معينة، فهو يشمل كل الفئات، ولكن بنسب مختلفة.

إن الغالبية العظمى من المعتقدين بالسحر تنتمي إلى الفئة العمرية بين [15 - 60 سنة] والتي تمثل نسبة 81.2% من مجموع العينة، ويمكن تفسير هذه النسبة الكبيرة لهذه الفئة العمرية بأنها تعد مرحلة قلق على النجاح في الدراسة و الحياة، القلق على المستقبل، وعلى بداية تكون حياة عائلية، التفكير في الزواج ، الزواج، تكوين الأسرة، المشاكل الزوجية،

الرغبة في الاستقرار النفسي والعائلي. إنها "مرحلة صراعات نفسية واجتماعية لإثبات الذات، صراع من أجل الآخر، وضده مشاكل اقتصادية وحياتية صعبة تؤدي إلى تزايد المشاكل النفسية كالقلق والفصام...الخ" (إجلال، 2003، الصفحات 27-29) وإن أي إخفاق لا يمكن تقبله بالمنطق الطبيعي، إنما يبدأ البحث عن أسباب و مسببات فوق طبيعية ، وهنا يكون السحر وسيلة لتبرير كل الإخفاقات والفشل.

أما الفئة أقل من 15 سنة والتي تمثل 6.2% فنرجعه إلى أن فأفراد هذه العينة مازالوا لا يحسون بوطأة الحياة ومشكلاتها وقلة اعتقادهم بمثل هذه المواضيع، والأساس أن هؤلاء لا يعبرون عن تعرضهم للسحر ولا يحضرون عند المعالجين من السحر من تلقاء أنفسهم ولكن انطلاقاً من اعتقاد أوليائهم ، كما أن أغلب امراضهم ومشاكلهم تتمثل فيالكوابيس واضطرابات النوم، أمراض الحساسية الجلدية، و الرسوب في الامتحانات. أما الفئة الفئة فوق الستين سنة فهي بداية الشيخوخة، فئة عمرية قلت فيها الطموحات، وتجاوزت مرحلة الصراعات النفسية وأغلب أمراضهم ومشاكلهم بسبب الأولاد، التهميش، والخوف من المجهول.

ج-تصنيف المعتقدين بالسحر حسب الحالة الاجتماعية (العائلية):

جدول (ج) توزيع المعتقدين بالسحر الحالة الاجتماعية (العائلية)

الفئة	عدد المعتقدين في الإصابة بالسحر	النسبة المئوية
أعزب/ عزباء	08	25%
متزوج (ة)	14	43.7%
مطلق (ة)	10	31.2%
المجموع	32	100%

المؤلف: الجدول من انجاز الباحث

تبين ارقام الجول أن الغالبية من المعتقدين بالسحر هم من فئة المتزوجين في بداية الحياة الزوجية خاصة الاناث منها حسب من بينته الملاحظة المباشرة و مثلوا نسبة 43.7% من مجموع العينة ، و تتمثل مشاكلهم في استشعارهم بالصعوبات التي تواجههم في بداية علاقتهم، خاصة تلك المترتبة بالإنجاب، التوافق الزوجي، المشكلات اليومية، المشكلات الجنسية وكذلك الاقتصادية للعائلة وغيرها التي قد تصل الى الطلاق. وهذا ما

جعل فئة المطلقين ذات نسبة عالية أيضا 31.2% فالأشخاص لا يتقبلون فشل علاقاتهم الزوجية مما يدفعهم التعبير عن معتقداتهم بأنهم كانوا ضحية اعتداء سحري ، او يلجؤون الى السحرة لطلب المساعدة من اجل الامساك بالزوج او لدفع الاعتداءات السحرية. اما فئة العزاب، فان تأخر سن الزواج، مشكلة العنوسة، المشكلات العاطفية، البحث عن النجاح في الدراسة او العمل والنظرة الاجتماعية... الخ كلها أسباب قوية تدفع بهم إلى عالم السحر و السحرة بحثا عن أسباب لتبرير فشلهم.

د- تصنيف المعتقدين بالسحر على أساس مستوياتهم التعليمية:

جدول (د) توزيع المعتقدين بالسحر حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	عدد المعتقدين في الإصابة بالسحر	النسبة المئوية
بدون مستوى تعليمي	11	34.3%
ابتدائي و متوسط	10	31.2%
ثانوي	07	21.8%
جامعي	04	12.5%
المجموع	32	100%

المؤلف: الجدول من انجاز الباحث

نكون مخطئين إذا اعتبرنا أن الاعتقاد في الإصابة بالسحر او اللجوء الى السحرة خاصية تميز فئة الأميين و محدودي المستوى التعليمي فقط دون المتعلمين.

فالدراسة الميدانية من خلال الجدول أعلاه تبين ان الاعتقاد بالسحر او اللجوء الى السحرة والمشعوذين يشمل كافة المستويات التعليمية ويضم الأميين وأصحاب الشهادات العليا على حد السواء، لكن النسبة الأكبر تضم فئتي الاميين وذوي المستوى التعليمي المحدود والممثلة في الفئتين الأولى والثانية بمجموع 65.5% فتتشتمل الاجتماعية واعتقاداتهم الشعبية تجعلهم يعتقدون أن أمراضهم واخفاقاتهم سببها قوى (فوق طبيعية) وأنهم ضحايا اعتداءات سحرية.

أما المترددون ذوو المستويات التعليمية المرتفعة والعليا فهم أيضا يعتقدون في السحر، فهم رغم مستوياتهم المعرفية العليا يحتفظون بداخلهم بأفكار معقدة حول علم أسباب الامراض والمشاكل الاجتماعية، وهنا يظهر تأثير عناصر المعتقدات الشعبية المترسبة بداخلهم، كما أن دوافع لجوئهم إلى السحر او اعتقادهم بالتعرض لاعتداء سحري يعود إلى

أسباب تتعلق بالفشل في الدراسة، الفشل في العمل، مسائل الحب والزواج، الأمراض الميئوس منها والتي أخفق الطب في علاجها، ويمكن أن نفسر ذلك بأن المتعلمين بوجه عام أكثر قلقاً وأكثر مجابهة للمشاكل، وأعد حياة ومطلبا من غير المتعلمين.

هـ-تصنيف المعتقدين بالسحر حسب المهنة والعمل:

جدول (هـ) تصنيف المعتقدين بالسحر حسب المهنة والعمل

الفئة	عدد المعتقدين في الإصابة بالسحر	النسبة المئوية
أعمال حرة/ عامل يومي	03	9.3%
موظف	06	18.7%
بدون عمل	23	71.8%
المجموع	32	100%

المؤلف: الجدول من انجاز الباحث

إن تحليل البيانات الخاصة بالمعتقدين بالسحر حسب المهنة والعمل الواردة في الجدول (هـ) تبين أن الغالبية من المعتقدين بالسحر هم من فئة العاطلين عن العمل والذين مثلوا 23 حالة بنسبة 71.8% وأغلبهم من خريجي الجامعات ومراكز التكوين (الإناث، والذكور)، فغالبيتهم يعانون مشاكل اقتصادية حادة في ظل مجتمع ارتفعت فيه تكاليف المعيشة وصعبة فيه الحياة وفرص تحقيق الذات (السكن، الزواج، الإنفاق على الأسرة...)، مما يترتب عنه مشاكل اجتماعية ونفسية حادة تورط الأفراد في القلق والتوتر، كذلك الإحباط واليأس... الخ.

أما فئة المعتقدين بالسحر من الموظفين فيعود إلى حالة الضغط الناتجة عن العمل وما قد يسببه من أمراض نفسية واجتماعية.

5. علاج السحر:

و يتم في الغالب باللجوء الى ممارسي الرقية الشرعية

1.5. التشخيص:

تبدأ عملية العلاج بالرقية عند كثير الممارسين والمعالجين بحوار مع المريض ويقصد من هذه الأسئلة المختلفة عن حياة المريض، وما يعانيه من مرض، وما يحس به من آلام، هو التأكد من كل الجوانب الأخرى المتعلقة بالحالة المرضية من النواحي

الاجتماعية والأسرية والاقتصادية ونحوه، لأن الأسباب قد تتعدد، وقد يكون الأمر ناتجا عن هذه الظروف، وهذا ما يؤكد الكثير من المعالجين، فالشيخ خضراوي* بخبرته الطويلة التي زادت عن عشرين سنة في العلاج بالرقية يؤكد ان نسبة الإصابة بالسحر لا تتعدى 05 % من الحالات عالجها ويرى ان معظم الحالات ناتجة عن الظروف والمشاكل الاجتماعية. ومن خلال هذا الحوار المطول في العادة قد تظهر بعض الأعراض المضادة للواقع، ومثال ذلك كره الزوج لزوجته أو العكس من ذلك بعد الشعور بالألفة والمحبة والمودة، أو كره العمل بعد النشاط والاجتهاد، أو كره الأقارب بعد الود والصفاء ونحو ذلك من مظاهر أخرى. إلا أن بعض الرقاة ممن حضرنا معهم يشعرون مباشرة في الرقية بقراءة القرآن، بعضهم يدعي عدم جدوى الحوار مع المريض، لأن الرقية ستكشف عن المرض، والبعض الآخر ممن يكثر المترددين عليهم بحجة أنها تضيع وقتهم وقد يكون بعض من هؤلاء المعالجين ممن يمارسون السحر أيضا أو بالأحرى هم في الأصل من ممارسي السحر الذين فرضت عليهم الصلوة الإسلامية تغيير أسلوبهم في العمل، فيقول عنهم علم الاجتماع المغربي بول باسكون: "إن الساحر يولي العناية لإظهار تمسكه بالدين، فهو حافظ للقرآن، وعلام جيد بقواعد اللغة العربية، وبهذه الصفة يضع نفسه في منأى عن أي شك في وثنيته (...). إنه مصدر ثقة يحظى بمزيج من مشاعر الخوف والتقدير في نفوس الناس، فهو يمتلك في نظرهم القدرة على التأثير في مصير حياتهم بالسلب والإيجاب..." (وأعراب، المعتقدات السحرية في المغرب).

بعد محاوره المريض ينتقل المعالج إلى المرحلة الثانية وهي مرحلة القراءات العلاجية القرآنية الاستكشافية "تسمى رقية استكشاف".

ومما يقرأه المعالج على المريض (الذي يكون في العادة في حالة تمدد كلي: سورة الفاتحة، أية الكرسي، (البقرة: الآية 137)، (الكهف: الآية 39)، (الملك: 3، 4)، 1

* الشيخ (خضراوي.ح) ، 53 سنة، بدون مستوى تعليمي، يحفظ القرآن الكريم، متزوج وأب لخمس أطفال بدأ ممارسة العلاج، بالرقية منذ 1990، صاحب عيادة للعلاج بالرقية، ومحل لبيع الأعشاب الطبية يمارس العلاج بالرقية و الأعشاب، و الحجام، صاحب خبرة وتجربة كبيرة يعد من أهم المعالجين في المنطقة.

(لقلم: 51)، سورة الإخلاص، المعوذتين، (الأحقاف:31)، (الإسراء:82)، (فصلت:44)،
(الشعراء:80)...الخ

و تكون هذه القراءات مصحوبة بالنفث بريق خفيف، أو بدونه كما يضع المعالج
اليمنى على مكان الألم أثناء الرقية (إلا لمحذور شرعي كرقية غير المحارم من النساء)،
فإذا كان المريض به سحر سوف تظهر عليه بعض الأعراض منها:

- قد تظهر على المصاب بالسحر كافة أعراض الإصابة بالمس (الصرع) خاصة
إذا كان تأثير السحر بسبب تسلط الأرواح الخبيثة على المريض وملازمته واقتترانه به من
هذه الأعراض، التصلب، الارتعاش، تغير في صوت المريض...الخ.

- التأثير الشديد والانفعال والاضطراب، خاصة عند قراءة الآيات المتعلقة بالسحر.

- البكاء والصراخ الشديدين.

- الاستفراغ أثناء الرقية أو بعدها، ويلاحظ ذلك الأمر مع بعض الحالات المرضية
التي أعطيت مادة السحر عن طريق الفم، وقد تكون المواد المستفرغة غريبة اللون والشكل،
فقد يظهر لون أصفر غريب، أو أخضر غريب أيضا، كما قد يحصل مع الاستفراغ خروج
قطع من الدم القاني أو شعر أو خيوط معقدة وعلى نحو ذلك من الأشياء الغريبة.
قد لا يتم الكشف عن وجود السحر من خلال قراءة واحدة، أو حصة علاجية واحدة
مما يحتم على المعالج تكرار القراءة مرات عديدة، وحتى حصص عديدة).

2.5. العلاج:

بعد التأكد من وجود السحر تبدأ المرحلة الأهم وهي مرحلة العلاج، حيث تختلف
بحسب الحالات ونوع السحر.

فإذا كان السحر بسبب تسلط الأرواح الخبيثة على المريض يدخل الشيخ الرافي في
حوار مع الجني المكلف بالسحر من أجل الخروج من جسم المريض، فإذا رفض الخروج
يستمر الرافي في قراءة القرآن خاصة الآيات المتعلقة بالسحر، والجن لإجباره على الخروج،
فإذا رفض مرة أخرى يلجأ الرافي إلى حرقه بالقرآن. أما إذا كان السحر من الطلاس،
والأحجية، والمواد العضوية والمعدنية...الخ. فإن أفضل طريقة للتخلص منه هو كشف مكان
السحر ثم إتلافه، ويعرف مكان السحر إما برؤية في المنام (خاصة بعد الإكثار من الصلاة

وطلب التوفيق والشفاء من الله سبحانه وتعالى)، أو البحث والتتقيب عنه في أماكن محتملة، وقد يعرف مكان السحر عن طريق الجن وذلك بالقراءة على المسحور فيتكلم الجني على لسان المريض فيدلهم على مكانه.

إما إن كان السحر قد أعطي عن طريق الفم، فيتم التخلص منه عن طريق الاستفراغ، الذي قد يدوم مرات عديدة، يعطى المريض في الغالب ماء مرقيا يستحم به أو يشربه أو زيت زيتون يدهن به وهي عملية تطهر جسم المريض من كل أثار السحر.

6. نتائج الدراسة:

- إن تفاقم الأمراض و الضغوط الاجتماعية التي لا يملك الفرد القدرة على مواجهتها تدفعه الى السحر فهو بذلك يعلق همومه على مجهول و بالافتناع بطرده و التخلص منه ينال الارتياح , فالمشاكل الاجتماعية التي تصاحبها عوارض نفسية قد تكون نتيجة مباشرة للصعوبات الاقتصادية وغيرها .

- إن إيهام الكثير من المعالجين لمرضاهم بوجود السحر ثم التخلص منه بالاعتماد على "الفاعلية الرمزية" على حد قول كلود ليفي ستروس (ستروس، 1977 ص 164). في معالجة بعض حالات الأمراض الناتجة عن السحر ساهم بطريقة غير مباشرة في إحياء و بعث المعتقدات الشعبية و الخرافية المتعلقة القوى الخفية و السحر و غيرها، حيث أصبحت كل الأمراض العضوية و النفسية كالشلل و البكم أو فقدان الرؤية و حالات اليأس و القلق و الانطواء... إلخ التي تعقب المشاكل الأسرية الحادة ترد في تفسيرها تعازيمسحرية ، وإن الشيخ الراقي قادر على فك طلاسها وابطالها .

- ساهمت وسائل الاتصال المختلفة (السمعية , البصرية و المكتوبة ...) في الترويج لمثل هذه الممارسات وهي تبتغي من وراء ذلك تحقيق المكاسب المادية خاصة منها دور الطباعة و النشر و التوزيع التي تسابقت إلى نشر و توزيع عشرات من العناوين و الكتيبات، بالإضافة إلى الأشرطة السمعية و البصرية , و الأقراص المضغوطة التي تركز على السحر ، انواعه و وسائله وحاجة الناس إلى الشفاء منه منها : الرقية النافعة - كيف ترقى نفسك... الخ .

- أما وسائل الإعلام فإنها هي الأخرى و بطريقة غير مباشرة ساهمت في الترويج لهذه الممارسات دون أن تلعب دورها الأساسي في تعريف الناس بحقيقة السحر والشعوذة و

ممارستها ، وكيفية التحصن من أفعالهم، مما فتح الباب واسعا أمام الكثير من الدجالين و المشعوذين للتلاعب بالمرضى ، و ابتزاز أموالهم و السيطرة عليهم من خلال استخدام الخطاب الديني.

7. خاتمة

ان انتشار ظاهرة السحر في المجتمع و تزايد عدد المعتقدين في السحر وقدرات السحرة أصبحت ظاهرة مقلقة اجتماعيا، بل مخيفة خاصة عندما باتت تهدد مصير العديد من الأبرياء ، وقد يدفع بعض السحرة المترددين عليهم الى ارتكاب جرائم في حق الأطفال ، او نبش القبور وغيرها من الممارسات التي يهتز لها المجتمع يوميا. والدراسة التي قمنا بها على عينة من المترددين على السحرة والمعتقدين بقدرات السحر في الحاق الأذى بالناس او التحكم في تغيير موازين الحياة عند البعض الاخر، أظهرت ان عودة انتشار مثل هذه المعتقدات البالية بهذه الصورة هو نتيجة لعدة عوامل ، قد تكون لتفاقم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية و الامراض المستعصية التي يمر بها الافراد في ظل تمزق العلاقات الاجتماعية السبب الأكثر تأثيرا ، كما ساهم انتشار الأفكار الدينية المرتبطة بالأمراض و الممارسات العلاجية كالرقى والتداوي بالأعشاب بشكل كبير في عودة السحر وما يرتبط به ، وللفاعلين بداخل هذا الحقل ، و وسائل الاعلام و الاتصال المختلفة دور في الترويج لهذه المعتقدات بقصد او عن غير وعي وقصد.

وعليه فإننا نوصي في نهاية هذا العمل بضرورة تدخل الهيئات الرسمية المختلفة لتوعية الناس بمخاطر الاستماع لهؤلاء المشعوذين الذين يستثمرون في مشاكل المجتمع وامراضه، بالإضافة الى التدخل وبقوة في مراقبة الحصص والبرامج الإعلامية التي تروج لمثل هذه الأفكار المنحرفة وتوجيه الحقل الثقافي نحو اشكال التطبيق الحديثة والطب النفسي والاستعانة بالنص الديني الشرعي والسليم.

8. قائمة المراجع:

السحر والتطبيب بالمغرب. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 09 01, 2008، من www.alwafei.com/wb

- ابن المنظور. (2000). *لسان العرب*. بيروت، لبنان: دارصادر.
- الأمراض الروحية/السحر/ نسخة الكترونية*. (بلا تاريخ). تاريخ الاسترداد 10 11, 2007، من www.Ruqya.net/sehr.html
- إيناس حسن دحبول. (2002). *قاصدو السحرة*. لبنان : دراسة لنيل شهادة الجدارة في الانثروبولوجيا، معهد العلوم الاجتماعية، الفرع الخامس، الجامعة اللبنانية .
- بكير بن محمد أرشوم. (1994). *الوقاية والعلاج في الإسلام*. الجزائر: مطبعة تقنية الألوان.
- جاك لومبار. (1997). *مدخل إلى الانثولوجيا*. (حسن قبيسي، المترجمون) المركز الثقافي العربي.
- سامية حسن الساعاتي. (1984). *السحر والمجتمع* (الإصدار الطبعة الثانية). بيروت ، لبنان، دار النهضة العربية.
- عاطف وصفي. (1971). *الانثروبولوجيا الثقافية*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
- عبد القادر عرابي. (1999). " *المرأة العربية بين التقليد والتجديد*". مجلة المستقبل العربي.
- عمر سليمان الأشقر. *عالم السحر والشعوذة*. الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع .
- غانم عبد الله عبد الغني. (2004). *طرق البحث الانثروبولوجي، المكتب الجامعي الحديث*.
- فتحي يكن. (1989). *حكم الإسلام في السحر والسحرة*. بيروت: دار الإيمان.
- فؤاد أبو حطب،، و أمال صادق. (1991). *مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي، المكتبة الأنجلو المصرية*. القاهرة، مصر.
- محمد الجوهري، و وآخرون. (1992). *دراسات في علم الفلكلور، الفصل التاسع دراسة أنثروبولوجية لتغير المعتقدات الشعبية السحرية في مجتمع محلي مصري*. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية الإسكندرية.
- محمد يسرى إجلال. (2003). *الأمراض النفسية الاجتماعية* (الإصدار الطبعة 1). عالم الكتب.
- وحيد عبد السلام بالي. (1997). *الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار*. الجزائر: دار الإمام مالك.

COPANS, J. *L'enquête ethnologique de Terran*. Nathan université.